المحاضرة التاسعة:

مباحث الأدب المقارن: رحلة الآداب

أهداف الدرس:

- **تمييز مجالات الأدب المقارن** الرئيسية: التأثير والتقابل، ونظرية الأدب العام، وتاريخ الأفكار الأدبية.
- التعرف على أدب الرحلات وتبين علاقته بالآداب المقارنة
- التطرق إلى أدب الرحلة بوصفه جنسا أدبيا.
- التعرف على نماذج أدبية في أدب الرحلة.

نص المحاضرة

بعد أن تطرقنا في الحصص السابقة إلى مختلف المدارس التي عرفتها الدراسات المقارنة اليوم سننتقل للحديث عن مجال آخر من مجالات الأدب المقارن وهي أهم المباحث التي تميز الدرس المقارن، وعلى العموم يمكن أن نحدد هذه المباحث في النقاط الآتية:

1. **رحلة الآداب**
2. **التأثر والتأثير.**
3. **النّماذج البشرية.**
4. **الأجناس الأدبية/ الأدب والأسطورة.**
5. **الأدب والقصة والفلسفية.**
6. **علم الصورة/ صورة الآخر في الأدب.**

خريطة ذهنية توضح مباحث الأدب المقارن

01- مفهوم أدب الرحلة:

إن الحديث عن أدب الرحلة عموما هو حديث في مضمره يروي تلك القصص والأحداث التي عاشها شخص ما عند تنقله من مكان إلى آخر، وتقوم هذه الرحلة في العادة على تدوين التجارب والانطباعات التي يسجلها الرحّالة أثناء سفرهم واحتكاكهم بالشعوب "فالاختلاط والحياة مع الشعوب المختلفة إضافة إلى الاجتهاد في دراسة أخلاقهم وطباعهم والتحقيق في ديانتهم ونظم حكمهم غالبا ما تضع أمام الفرد مجالا طيّبا للمقارنة كما تساعده ولاشك على تقييم نظم

وتقاليد بلده وموطنه"[1] لقد جاب الرحالة مختلف بقاع الأرض في أزمانهم، وعرفوا عدة جغرافيات ودونوا ملامحها الإنسانية والحضارية، والثقافية، ومن هنا يمكننا القول أن أدب الرحلة كما يرى علي دغمان هو "معطى أدبيا حديثا بما يوفره لنفسه من إمكانيات إنتاجية غير محدودة تثبت فرادته وتميزه بحيث يصبح تكملة مستمرة لحركة تنامي خطه الفني فالرحلة هي انتقال من مكان إلى آخر طلبا لمنفعة ما قد تكون نثرا أو شعرا كما قد يكون الانتقال فعلا واقعيا أو تخييلا فنيا وتنقسم الرحلة باعتبار قيمتها الأنطولوجية إلى نوعين رحلة مكانية ورحلة زمانية"[2].

وبما أن خصائص هذا الأدب تتسم بكونها تنتقل من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان فمن المؤكد أن هذا النوع من الكتابة سيدخل حيز اهتمام الدراسات المقارنة كونه يؤسس لمجال مهم جدا مثّل فيما بعد صلب الأدب المقارن والحديث هنا متعلق بالآخرية(الأنا والآخر) "ولهذا فالمقارنة تسكن بالضرورة كل رحلة ورحالة تقابل فيهما الأنا والآخر حتى ولو كانت هذه الرحلة احتكاكا حضاريا عنيفا على شاكلة رحلة نابليون بونابرت إلى مصر(...) وبفضل هذه الصور المنتجة من قبل الآخر والتي وضعت الأنا في موضع المقارن بين الأنا والآخر وبمجرد توفر الأسباب للانفتاح على الآخر وجدنا محمد علي باشا في مصر يتطلع للاستفادة من علوم الآخر ففكر في إرسال بعثات علمية"[3] وبالتالي يتضح جليا أن أدب الرحلة ساعد الدراسات المقارنة في إنتاج حقل

---

[1]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ط1، 1989، ص17.

[2]- علي دغمان: أدبية أدب الرحلة مدارات المنظور والرؤيا ، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، م 07، ع02، 2023، ص276.

[3]- رابح الأطرش : أدب الرحلة وإنتاجية الصورة، مجلة النص، ع11، 2012، ص169.

الصوراتية(علم الصورة) الذي شكل فيما بعد رؤية مهمة تم من خلالها التعرف على ثقافات الشعوب الأخرى ونقل الثقافات القومية إلى ثقافات لم تكن على دراية بهذا التنوع الفكري، وسنخصص فيما بعد حصصا بأكملها نتحدث فيها عن نشأة علم الصورة ونتحدث أيضا عن أهمية هذا العلم ودوره في إرساء قوانين تؤسس لفضاء الغيرية.

يشير الباحثون إلى أن أدب الرحلة كان جنسا أدبيا شائعا إلى حد معقول في الأدب العربي في العصور الوسطى وقد شهد هذا العصر ازدهارا لافتا لهذا الجنس الأدبي، خاصة مع ظهور الرحلات المرتبطة **بالحج والتجارة(العراق، الشام، اليمن) وطلب العلم** "ولعل أبرز دور قامت به الرحلة في العالم العربي هو الخدمة الكبرى التي قدمتها لعلم الجغرافيا فقد كان الرحالة في وصفه للمالك والمسالك معينا للجغرافي لأنه يكتب بقلم الذي اتصل بالظاهر الجغرافية والطبيعية اتصالا مباشرا فرأى وسمع كما أنه كان ذا نفع للمؤرخ وعالم الاجتماع وللأديب والفلكي والفيلسوف"[1] ومن بين الرحلات العربية التي سجلها التؤاريخ والتي كان لها أثر واضح في أدب الرحلة ما قدمه كلا من **ابن جبير وابن بطوطة** الذي خلده التاريخ بوصفه أحد أبرز الرحالة المسلمين بلا منازع جاب مختلف بقاع العالم الإسلامي وكتب رحلته المشهورة **"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"**، والتي تُرجمت إلى العديد من اللغات وما زالت مصدرا مهما للباحثين حتى اليوم.

[1]- فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي، الدار العربي للكتاب، ط2، 2002، ص23.

استنتاجات:

يمكننا القول في الأخير أن لأدب الرحلة عدة خصائص مكنته من أن يكون له دور كبير في معرفة وقراءة ثقافات الشعوب وكغيره من الفنون كان في البداية فعلا بريئا لكن تحول فيما بعد إلى رؤية امتزجت بثقافة الاستشراق، فقد استغل الاستشراق جيدا الأرشيف الذي تركه أدب الرحلة وبيّن من خلاله صحة تأويلاته المزيفة عن الشرق وعلى العموم تميز أدب الرحلة بخصائص تمثلت في مايلي:

1. **الاعتماد على التجربة الشخصية** :الراوي هو نفسه الرحالة، والحدث حقيقي (أو يبدو حقيقيًا)
2. **البعد المكاني/الجغرافي**: انتقال مادي من مكان إلى آخر، وغالبًا من ثقافة إلى أخرى.
3. **الوصف والسرد**: يمزج بين وصف الأماكن والأشخاص والعادات، وبين سرد الأحداث والتأملات الذاتية.
4. **التنوع الشكلي**: يمكن أن يكون يوميات، رسائل، حكايات، تقارير علمية، أو حتى مزيجًا من كل هذا.

أسئلة التقويم الذاتي:

- ✓ كيف يصف كاتب الرحلة "الآخر"؟ هل يصفه بموضوعية أم بنظرة استعلائية؟ كيف يمثل وطنه وثقافته من خلال رحلته؟
- ✓ هل يستخدم الرحالة أدوات أدبية واضحة؟ (استعارات، مبالغات، حوارات مصطنعة). إذا كان الأمر كذلك، فهل هذا يضيف إلى النص أم يقلل من مصداقيته كشهادة حقيقية؟
- ✓ حاول قراءة الكتب الآتية للتعمق أكثر في أدب الرحلة:

1. فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي
2. شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي: التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل
3. ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار